@ 485 @ السكوت عنها ، في غير هذه الحال ، التي صحب عليها الخضر ، فاستعجل عليه السلام ، وبادر إلى الحكم في حالتها العامة ، ولم يلتفت إلى هذا العارض ، الذي يوجب عليه الصبر ، وعدم المبادرة إلى الإنكار . ومنها : القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه (يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير) ويراعي أكبر المصلحتين ، بتفويت أدناهما ، فإن قتل الغلام شر ، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما ، أعظم شرا منه . وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته ، وإن كان يظن أنه خير ، فالخير ببقاء دين أبويه ، وإيمانهما ، خير من ذلك ، فلذلك قتله الخضر ، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد ، ما لا يدخل تحت الحصر ، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها ، داخل في هذا . ومنها : القاعدة الكبيرة أيضا وهي أن (عمل الإنسان في مال غيره ، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة ، أنه يجوز ، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله ، إتلاف بعض مال الغير ، كما خرق الخضر السفينة لتعيب ، فتسلم من غصب الملك الظالم . فعلى هذا لو وقع حرق ، أو غرق ، أو نحوهما ، في دار إنسان أو ماله ، وكان إتلاف بعض المال ، أو هدم بعض الدار ، فيه سلامة للباقي ، جاز للإنسان بل شرع له ذلك ، حفظا لمال الغير ، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير ، ودفع إليه إنسان بعض المال ، افتداء للباقي ، جاز ولو من غير إذن . ومنها : أن العمل يجوز في البحر ، كما يجوز في البر لقوله : ! 2 2 ! ولم ينكر عليهم عملهم . ومنها : أن المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته ، ولا يخرج بذلك عن اسم المسكنة ، لأن ا أخبر أن هؤلاء المساكين ، لهم سفينة . ومنها : أن القتل من أكبر الذنوب لقوله في قتل الغلام : ! 2 2 ! . ومنها : أن القتل قصاصا غير منكر لقوله : ! 2 2 ! . ومنها : أن العبد الصالح يحفظه ا ، في نفسه ، وفي ذريته . ومنها : أن خدمة الصالحين ، أو من يتعلق بهم ، أفضل من غيرها ، لأنه علل استخراج كنزهما ، وإقامة جدارهما ، بأن أباهما صالح . ومنها : استعمال الأدب مع ا تعالى في الألفاظ ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله : ! 2 2 ! . وأما الخير ، فأضافه إلى ا تعالى لقوله : ! 2 2 ! ، كما قال إبراهيم عليه السلام : ! 2 2 ! ، وقالت الجن : ! 2 2 ! مع أن الكل بقضاء ا وقدره . ومنها : أنه ينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه ، في حالة من الأحوال ، ويترك صحبته ، حتى يعتبه ، ويعذر منه ، كما فعل الخضر مع موسى . ومنها : أن موافقة الصاحب لصاحبه ، في غير الأمور المحذورة ، مدعاة ، وسبب لبقاء الصحبة ، وتأكدها ، كما أن عدم الموافقة ، سبب لقطع المرافقة . ^ (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا * إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل

شيء سببا * فأتبع سببا * حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يذا القرنين إمآ أن تعذب وإمآ أن تتخذ فيهم حسنا * قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا * وأما من آمن وعمل صالحا فله جزآء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) ^ كان أهل الكتاب أو المشركون ، سألوا رسول ا صلى ا عليه وسلم عن قصة ذي القرنين ، فأمره ا أن يقول : ! 2 2 ! فيه نبأ مفيد ، وخطاب عجيب . أي : سأتلو عليكم من أحواله ، ما يتذكر فيه ، ويكون عبرة ، وأما ما سوى ذلك من أحواله ، فلم يتله عليهم . ! 2 2 ! أي : ملكه ا تعالى ، ومكنه من النفوذ في أقطار الأرض ، وانقيادهم له . ^ (وآتيناه من كل شيء سببا ، فأتبع سببا) ^ أي : أعطاه ا من الأسباب الموصلة له ، لما وصل إليه ، ما به يستعين على قهر البلدان ، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران . وعمل بتلك الأسباب ، التي أعطاه ا إياها ، أي : استعملها على وجهها ، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه ، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب ، فإذا اجتمعت القدرة على السبب الحقيقي ، والعمل به ، حصل المقصود ، وإن عدما ، أو أحدهما لم يحصل . وهذه الأسباب التي أعطاه ا إياها ، لم يخبرنا ا ولا رسوله بها ، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم ، فلهذا ، لا يسعنا غير السكوت عنها ، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها ، ولكننا نعلم بالجملة ، أنها أسباب قوية كثيرة ، داخلية وخارجية ، بها صار له جند عظيم ، ذو عدد وعدد ونظام ، وبه تمكن من قهر الأعداء ، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وأنحائها ، فأعطاه ا ، ما بلغ به مغرب الشمس ، حتى رأى الشمس في مرأى العين ، كأنها تغرب في عين حمئة ، أي : سوداء ، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء ، رآها تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع ، ووجد عندها ، أي : عند مغربها قوما . ^ (قلنا ياذا القرنين إما أن